تخفيف الاحتقان

على الأجهزة التكنولوجية اللازمة لمراقبة الحدود وإعطاء الأوامر عن بعد لاستهداف المسلحين. أما الهبة الأميركية الأخيرة للجيش فتجاوزت حدود الهبات التقليدية المضحكة، سواء من حيث كم الذخيرة (أكثر من 26 مليون طلقة من الذخائر المختلفة) أو نوعية المدافع، والتي هي، بحسب مصدر عسكري، أهم بكثير من مدافع mm 155 CAESAR التي يفترض بفرنسا تزويد الجيش بـ 28 منها بموجب الهبة السعودية. ويؤكد النائب المستقبلي في هذا السياق أن السلاح الفرنسي المنتظر يفيد الفرنسيين الذين تعاني ميزانيتهم العامة مصائب جمة أكثر مما يفيد لبنان، ولا علاقة لهذا السلاح بمواجهة الخطر التكفيري الداهم، بعكس المساعدات الأميركية الجديدة التي توحي نوعيتها وسرعة تأمينها (من المخازن الأميركية في الأردن) بجدية الخطر الداهم. ولا شك في أن السلاح المنتظر الأهم هو طائرات الـ «سوبر توكانو» (برازيلية المصنع) التي دفع اللبنانيون من هبة المليار ثمن ثمان منها. وهي تمثل العنصر الرئيسي في تدريبات الجيش الأميركي وسلاح الجو الكولومبي والتشيلي والإكوادوري والإندونيسي والموريتاني، فيما ينتظر الجيش الأفغاني تزويده في نيسان المقبل بالدفعة الأولى منها من أصل 20 «سوبر توكانو». وتشير التقارير العسكرية إلى فعالية هذه الطائرة المتطورة إلكترونياً في المناطق الجبلية الوعرة، وهي أقل تكلفة بكثير من طائرات «أف 16» رغم تمتعهما بخصائص عدة مشتركة.

مصادر عسكرية تؤكد أن نقاط المراقبة والمدافع الجديدة تسمح للجيش بصد هجمات التفكيريين، إلا أن انتقاله من الدفاع إلى الهجوم ينتظر وصول الدفعة الأولى من الطائرات. ويفترض بقيادة الجيشين الأميركي واللبناني تأجيل إعلان تسليم الطائرات، ليتمكن الجيش من مباغتة المسلحين. مع تأكيد المطلعين أن الإسراع في العملية، قبيل ذوبان الثلج مع نهاية نيسان المقبل، أفضل بكثير. ويشير أحد السفراء الأوروبيين بوضوح هنا إلى أن التدقيق في قائمة الأسلحة الجديدة المعطاة للجيش توحي بوجود مسعى أميركي واضح لسد النقص الذي يعانيه حزب الله على أصعدة عدة في قتاله «داعش»، مما لا يمكن للحزب الحصول عليه عن طريق سوريا أو إيران. ويتابع المصدر نفسه: لا إمكان بعد للتنسيق الميداني المباشر بين

> تنسيق ميداني غير مباشر بين أعداء «داعش» بواسطة الجيش اللبناني

كل أعداء «داعش»، لكن يوجد عدة أصدقاء مشتركين، يتقدمهم الجيش اللبناني. كأن إيران والولايات المتحدة ترقصان تانغو في بيروت؛ يحق لهما الاقتراب من بعد قدر ما تشتهيان، من دون أن تتلامسا. وما تقوله المصادر الدبلوماسية بشأن «الخطر الداهم» يكرره نواب مستقبليون على تواصل مع هؤلاء السفراء: لا وقت للخلافات السياسية السنية – الشيعية؛ هناك ما هو أخطر بكثير. فالأولوية الغربية المطلقة – يتابع نائب مستقبلي – هي لمكافحة الإرهاب. و«الكل، من دون استثناء، يقدم تنازلات، ويقبل أموراً كان يستحيل سابقاً أن يقبل بها. كأن معادلة الجيش والمقاومة والشعب المرفوضة في مواجهة إسرائيل مطلوبة غربياً اليوم وبقوة في مواجهة الإرهاب».

بهدوء

من سعاده إلى نصرالله: المشرق قلب العالم

ناهض حتر

لم يذكر «السيد»، انطون سعاده بالاسم. لكنني، وأنا أصغي إلى خطاب نصرالله في ذكرى القادة الشهداء، فاجأتني ذكرى الزعيم السوري القومي العظيم!

نصر الله أعرب عن حساسية مشرقية واضحة بإشارته الصريحة إلى أن التاريخ يُصنَع، اليوم، في البلدان المشرقية (سوريا والعراق ولبنان وفلسطين والأردن)، يراها الأمين العام لحزب الله، في وعيه الاستراتيجي، إقليماً واحداً، هو ميدان الصراع مع العدوين اللدودين لنهضة هذا الإقليم: الكيان الصهيوني والقوى الطائفية التكفيرية الإرهابية. وسيكون هناك، من بعد، نقاش طويل ومحتدم حول اتجاهات النهضة المشرقية في التنظيم السياسي (الكونفدرالية) وفي التنظيم الاقتصادي (التنمية تحت سيطرة الدولة) وفي التنظيم الاجتماعي (الديموقراطية الاجتماعية، العدالة والمساواة)؛ لكننا اليوم أمام مهمة رئيسية هي المقاومة؛ فلا مستقبل لبلادنا إذا لم نتمكن من هزيمة التحالف الصهيو ـ تكفيري، تتطلب، بالطبع، التوافق على علمانية محلية ـ لا مستوردة ـ صاغها «السيد»، ببساطة، حين قال: «لا يوجد في الإسلام ما يخالف الفطرة الانسانية»؛ كل ما ليس انسانياً، كل ما يمس حقوق الانسان وكرامته وحريته، ليس اسلامياً، ولا مسيحياً بالطبع.

المشرقية تتولّد في الوعي المقاوم، تلقائياً، من خلال اقتحام حزب الله للصراعات الواقعية في المشرق؛ وخصوصا في مثلث المجابهة السوري ـ اللبناني ـ الفلسطيني ـ الأردني في الجولان، حيث يتماهى الإرهابان الصهيوني والتكفيري معا، وفي العراق، حيث تخوض بغداد معركة الحفاظ على وحدة بلاد ما بين النهرين.

تطرّق نصرالله إلى اليمن والبحرين؛ أهمية المقاومة المسلحة للثورة اليمنية والسلمية للثورة البحرينية، تتصل بالصراع الدائر في المشرق الذي يكنّ له آل سعود كل مشاعر الكراهية السياسية والثقافية والحضارية، وأنفقوا، وما زالوا ينفقون، المليارات لتدميره؛ اليمن والبحرين طرفا الكمّاشة التي ستطبق على قاعدة الشر السعودية، وتمنعها من تصدير البترودولار والوهابية والإرهاب إلى مشرقنا المتحضّر الدامي، إنما الذي «يصنع تاريخ العالم».

وهذه مقاربة استراتيجية صحيحة تماماً. فعلى نتائج الصراع في المشرق، تتراجع أو تتقدم امكانيات التحالف الروسي ـ الصيني ـ الإيراني، المؤهّل لإعادة تركيب هيكل العلاقات الدولية، وإعادة ترتيب موازين القوى في العالم المعاصر. ان انتصار قوى المقاومة في المشرق في مواجهة الصهيو ـ تكفيرية، سيدفع التحالف الناشئ المذكور، خطوات كبرى إلى الأمام: سياسياً سيتألّف الوزن النوعي الكافي لفرض الشرعية الدولية كإطار وحيد للعلاقة بين الدول والشعوب؛ واقتصادياً، سينشأ نظام اقتصادي دولي متحرر من الدولار، ومن تأثير نظام العقوبات الهمجي، وقادر على دفع محركات التنمية في آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية؛ ودفاعياً، ستتعاضد قدرات عسكرية تجعل من الحروب الإمبريالية، مغامرة كونية.

يدرك حزب الله، بوضوح، أن انتشاره من لبنان إلى سوريا والعراق، ليس مجرّد مشاركة للحلفاء في معاركهم الداخلية، وإنما هو انغماسٌ ذاتي في هذه المعارك، يحقق شرطين، أولهما، توسيع نطاق وقوى المقاومة في مواجهة الكيان الصهيوني، وتحرير هذه المقاومة من قيود الحدود اللبنانية، وثانيهما، تشبيك المشرق في هذا السياق بالذات. بذلك، لم يعد حزب الله لبنانياً، وإنما تحوّل، واقعياً ـ وليس، بالضرورة، فكرياً ـ إلى حزب للمشرق كله.

هذه الحركة الصاعدة في تاريخ بلادنا، هي التي تجعل من الاتفاق الغربي ـ الإيراني حول الملف النووي، على أهميته، هامشياً، وتدفع الإيرانيين والروس إلى التحالف الاستراتيجي، وتالياً، الشروع في تغيير العالم. وهذا المدى الذي افتتحه حزب الله، في الممارسة الكفاحية، هو الذي دفع الإيرانيين، ليس، فقط، إلى الحضور في الجولان، وإنما إلى الإعلان السياسي عن هذا الحضور المغطّى بالرضا الروسي، ما يصغّر مفاعيل أي اتفاق مع غرب نسجّل أنه ابتلع، مرغماً، وجود إيران على حدود فلسطين المحتلة.

أحد منظّري «الثورة» السورية، يكتب في صحيفة داعشية ـ ليبرالية، أن تلك «الثورة» تقف أمام استحقاق الاتفاق الإيراني ـ الغربي حول النووي؛ فإذا تم كان عليها أن تتعاطى مع الواقع الجديد الصعب، وإذا فشل الاتفاق ذاك، انفتحت أمامها فرصة استجلاب العدوان الغربي ضد سوريا!

يكمن الخطل، هنا، في نهج التفكير التبعي الذي يبدده نصرالله بفكره الاستقلالي: نحن مَن يصنع التاريخ! نحن مَن يمهّد الأرض، لتفعيل نهج دون آخر في إيران، وفي روسيا، ونقود التغيير العالمي... الذي يعود، في حركة الجدل الاستراتيجي، ليصنع مصير بلادنا؛ فلا مستقبل للبنان ـ كما الأردن وفلسطين ـ في «النأي بالنفس»، وإنما في الاشتباك الذي لا مهرب منه في الصراعات الكبرى في الإقليم: تعالوا إلى الميدان، قاتلوا الإرهاب والصهيونية، واحصلوا على مكانكم في مستقبل المشرق.

ـيش بصواريخ «توس» الروسية!

كيلومترات؛ اما الثانية، فهي أن «المنظومة بفعل قدرتها التدميرية العالية، ربما تتعارض مع المواثيق الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان».

ونظراً إلى ظروف الجيش والتحديات التي يواجهها، قد تكون الـ«توس» بالغة النفع، خصوصاً لدى مواجهة مجموعات مسلّحة مكوّنة من أفراد مشاة، ويحتمون في المناطق الجبلية والجرود النائية.

راجمة «توس ـ 1»

تعتبر راجمة «توس-1» من الأسلحة الفريدة التي لا مقابل لها خارج الترسانة الروسية. مع أنّ الـ «توس» هي، شكلاً وبالمعنى التقني، راجمة صواريخ، الا أن الخبراء العسكريين غالباً ما

> صاروخ «توس» مثالي لمواجهة الإرهابيين في الجرود

يصفونها كـ «قاذفة لهب ثقيلة»، بسبب طبيعة صواريخها والدور المتخصص الذي تلعبه.

على عكس باقي راجمات الصواريخ، التي تركّز على المدى والدقة وتنوّع الرؤوس الحربية، تملك «توس» مدى فعالاً متواضعاً للغاية (لا يزيد على ستة كيلومترات للنسخة المحدّثة)، ما يجعلها سلاحاً «موضعياً» ميزته صواريخه الفريدة.

صواريخ راجمة «توس-1» حارقة، وليست متفجرة أو انشطارية؛ ووزنها يقارب المئتي كيلوغرام، أغلبه عبارة عن ذخيرة، ما يفسّر قصر المدى وارتفاع الفعالية التدميرية. وتعتمد هذه الصواريخ تقنية «وقود الهواء» (thermobaric) ما يعني أنّ انفجارها ينثر كمية كبيرة من الوقود HG عالي الاحتراق في المنطقة، ثم تنفجر هذه الكتلة ما إن تختلط بالهواء، ما ينتج كرة نارية ضخمة وارتفاعاً هائلاً في الضغط.

هذا التأثير هو الذي يجعل «توس» سلاحاً مثالياً ضد الأفراد، فموجة الضغط تقتل كلّ من في منطقة الانفجار، بغض النظر عن وجودهم في تحصينات أو داخل مبان ودشم. كما أنّ الغزارة النارية الكبيرة (الراجمة تحمل ثلاثين صاروخاً، يمكن اطلاقها جميعها خلال أقل من ربع دقيقة) تسمح للراجمة بتدمير مساحات واسعة يوجد فيها العدوّ.

ويُقال إن الروس صمموا هذه الراجمة المتخصصة من أجل استخدامها في حرب أفغانستان ضد المقاتلين المختبئين في تضاريس جبلية أو في دشم؛ ثم تمّ استعمالها بنجاح خلال الحرب الشيشانية، حين أظهرت فعالية كبيرة في حرب المدن. وتمّ انتاج الراجمة بكميات قليلة نسبياً، ولم تصدّر رسمياً، حتى اليوم، الا الى بلدين أجنبيين هما أذربيجان والعراق.